الفتوحات المكية

تأليف

الشيخ الإمام خاتم الأولياء أبي بكر محيي الدين
محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي
المعروف بابن عربي
المتوفى سنة ٦٣٨هـ

ضبطه وصححه ووضع فهارسه
أحمد شمس الدين

الجزء الثالث

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الأنبياء: الآية ١٠٧]، ولم يقل للمؤمنين خاصة، وقد قيل له لما دعا في الصلاة على رعل وذكوان وعصية «ما بعثك الله سباباً ولا لعاناً» أي طرّاداً أي لا تطرد عن رحمتي من بعثتك إليه وإن كان كافراً وإنما بعثتك رحمة وهو قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ فإذا حشروا إليه وهم أمّته وهو بهذه المثابة من الرحمة التي فطر عليها والرحمة التي بعث بها فيرحم منهم من يقتضي ذلك الموطن أن يرحم فإنه حكيم، والذي لا يقتضي ذلك الموطن أن يرحمه يقول فيه سحقاً سحقاً أدباً مع الله حتى يتجلى الحق في صفة غير تلك الصفة مما يقتضي الإسعاف في الجميع، فعند ذلك تظهر بركته ورحمته ﷺ فيمن بعث إليهم بما يرحمهم الله به وينقلهم من النار إلى الجنان، ومن حال الشقاء إلى حال السعادة، وإن كانوا مخلدين في النار فإن الحكم يقضي بحكم الموطن، كرجل مقرّب عند مليك رأى الملك في حال غضب على عبد من عبيده فلا ينبغي له في الأدب أن يشفع فيه في تلك الحال، ولكن ينبغي له أن يقول: أزيلوه من بين يدي الملك واجعلوه في الحبس وقيدوه فإنه لا يصلح لشيء من الخير هذا العبد الآبق الكافر نعمة سيده كل ذلك بمرأى من سيده، فإذا تجلى ذلك السيد في حال بسط ورضى وزال ذلك العبد إلى السجن والقيد وبعد عن الرحمة وإن كان في رحمة حينئذ يليق بهذا المقرّب أن يقول للسيد: يا مولانا فلان على كل حال هو عبدك وماله راحم سواك وإلى من يلجأ إن طردته؟ ومن يوسع عليه إن ضيقت عليه؟ وهو محسوب عليك، وفي هذا من العار بالحضرة أن يقال فيه أنه لم يحترم سيده إذا رُئي معاقباً، والحضرة أجلّ من أن يقال عنها إنها لم تحترم، فإذا عفوت عنه وألحقته بالسعداء استتر الأمر، وأنا يا مولاي أغار أن ينسب إلى هذه الحضرة ما يشينها، ومثل هذا الكلام مع البسط الذي هو عليه السيد واقتضى الموضع الشفاعة فيه فيأمر السيد بتبديل حال الشقاء عنه بحال السعادة وأن يخلع عليه خلع الرضى، وإن بقي محبوساً فيصير له ذلك الدار والمنزل ملكاً ويهبه له ربه ملكاً ويرجع عذابه نعيماً وهو أبلغ في القدرة، هذا إن كانت تلك الدار سكناه، أو يأمر بإخراجه إلى منازل السعداء، فهكذا الناس يوم القيامة في بركة أهل البيت ممن يبعث إليه ﷺ، فما أسعد هذه الأمّة، فإن اعتبر الله البيت اعتبار الباطن إذ كان كل شرع متقدّم شرع محمد ﷺ بمنزلة طلوع الفجر إلى حين طلوع الشمس فكان ذلك الضوء وتزايده من الشمس، فتكون أمّة محمد ﷺ من آدم إلى آخر إنسان يوجد، فيكون الكل من أمّة محمد ﷺ فينال الكل بركة أهل البيت فيسعد الجميع، ألا تراه يقول يوم القيامة: «**أنا سيد الناس**» فلم يخص ولم يقل: أنا سيد أمتي، ثم إنه ما ذكر بعد هذه اللفظة إلا حديث الشفاعة فقال: «**أتدرون بما ذاك؟**» وذكر حديث الشفاعة يوم القيامة وهو معنى ما أشرنا إليه آنفاً. فإن فهمت ما أومأنا إليه فافعل ما شئت فقد غفر لك إنه واسع المغفرة.

السؤال الحادي والخمسون ومائة: قوله: آل محمد. الجواب: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ آلٌ وعدةٌ وآلي وعدتي المؤمن**» ومن أسمائه تعالى المؤمن وهو العدّة لكل شدة، والآل يعظم الأشخاص فعظم الشخص في السراب يسمى الآل، فآل محمد ﷺ هم العظماء بمحمد، ومحمد ﷺ مثل السراب يعظم من يكون فيه، وأنت تحسبه محمداً العظيم الشأن، كما تحسب

السراب ماء وهو ماء في رأي العين، فإذا جئت محمداً ﷺ لم تجد محمداً ووجدت الله في صورة محمدية ورأيته برؤية محمدية، كما أنك إذا جئت إلى السراب لتجده كما أعطاك النظر فلم تجد في شيئيته ما أعطاك النظر ووجدت الله عنده أي عرفت أن معرفتك بالله مثل معرفتك بالسراب أنه ماء فإذا به ليس ماء وتراه العين ماء، فكذلك إذا قلت عرفت الله وتحققت بالمعرفة عرفت أنك ما عرفت الله فالعجز عن معرفته هي المعرفة به فما حصل بيدك إلاّ أنه لا يتحصل لأحد من خلقه، وكل من استند إلى الله عظم في القلوب وعند العارفين بالله وعند العامة، كما أنه من كان في السراب عظم شخصه في رأي العين، ويسمى ذلك الشخص آلاً وهو في نفسه على خلاف ما تراه العيون من التضاؤل تحت جلال الله وعظمته، كذلك محمد يتضاءل تضاؤل السراب في جنب الله لوجود الله عنده، فهذا إذا فهمت ما قلناه معنى آل محمد.

السؤال الثاني والخمسون ومائة: أين خزائن الحجة من خزائن الكلام من خزائن علم التدبير؟ الجواب في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٤٩] بكلّ وجه، فأوله تدبير وهي الخزائن العامّة وهو قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [سورة الرعد: الآية ٢] وفي هذه الخزائن خزائن الكلام لأن خزائن علم التدبير تحوي على خزائن شتى منها خزائن الكلام وهي في قوله: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [سورة الرعد: الآية ٢] بالكلام وفي خزائن الكلام خزائن الحجة في مقابلة المعارض، وهو الذي لا يعرف الله معرفة ذوق وهم أصحاب الأدلة العقلية فإنهم لا يقبلون ما جاءت به الشرائع من صفات الحق التي لو قالها غير النبيّ جهله العقلاء بأدلتهم وكفره المؤمنون وهو ما قال إلاّ ما قيل له، فمتى ما لم يكن العلم ذوقاً لم يخلص خاطر سامعه من الإنكار بقلبه من حيث عقله، ثم خزائن الحجة خصوص في خزائن الكلام وهو القول المعجز وهو قول الحق والصدق، وكذا رأيته في الواقعة مثل القرآن فهو الحجة من الكلام ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة يونس: الآية ٣٨] ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٨٨] لأنه أتى من خزائن الحجة وسائر الكتب والصحف من خزائن الكلام، وسائر المخلوقات من خزائن علم التدبير.

السؤال الثالث والخمسون ومائة: أين خزائن علم الله من خزائن علم البدء؟ الجواب في المساوقة الوجودية لأن الله لم يزل عالماً بأنه الإله، وأن الممكن مألوه، وأن العدم للممكن نعت أزلي، وأنه لم يزل مظهراً للحق، فخزانة علم الله من علم البدء هو معرفة مرتبة الاسم الله من الاسم المبدىء، كما يقال: أين خزانة علم المبدىء من علم المعيد، فإن الظرفية لا تخلو إما أن تكون مكانية أو زمانية، ولا مكان ولا زمان فإنهما هما اللذان يعطيان المقدار، وأين كذا من كذا يطلب المقدار، فغاية أن يقال في المرتبة الأولى التي لا تقبل الثاني وهي مرتبة الواجب الوجود الذاتي كما نقول في الممكن: إنه في مرتبة الوجوب الإمكاني الذاتيّ، والعلم بهذا هو علم سرّ السرّ وهو الأخفى، وهو العلم الذي انفرد به الحق دون ما سواه، ولا يعلم هذا إلاّ بالتحلي بالحاء المهملة. فإن قلت: وما التحلي؟ قلنا: الاتصاف بالأخلاق الإلهية المعبر عنها في الطريق بالتخلق بالأسماء، وعندنا التحلي ظهور أوصاف العبودة دائماً